تفسير ابن كثير

هذا تنبيه من ا D على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها وقال النسائي : حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى ا عليه وسلّم { في غفلة معرضون } قال : [في الدنيا] وقال تعالى : { أتى أمر ا فلا تستعجلوه } وقال { اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا } الاية وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانىء أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول : .

(الناس في غفلاتهم ... ورحا المنية تطحن) .

فقيل له : من أين أخذ هذا ؟ قال من قول ا تعالى : { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون } وروى في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الامدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول ا صلى ا عليه وسلّم فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول ا صلى ا عليه وسلّم واديا في العرب وقد أردت أن اقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون } .

ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل ا على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } أي جديد إنزاله { إلا استمعوه وهم يلعبون } كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب با تقرؤونه محضا لم يشب رواه البخاري بنحوه .

وقوله : { وأسروا النجوى الذين ظلموا } أي قائلين فيما بينهم خفية { هل هذا إلا بشر مثلكم } يعنون رسول ا صلى ا عليه وسلّم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال : { أفتأتون السحر وأنتم تبصرون } أي أفتتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب { قال ربي يعلم القول في السماء والأرض } أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والاخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض وقوله : { وهو السميع العليم } أي السميع لأقوالكم والعليم

بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعيد وقوله : { بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه } هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال { انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا } وقوله { فليأتنا بآية كما أرسل الأولون } يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال ا : { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون } الاية ولهذا قال تعالى : { ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون } أي ما آتينا قرية من القرى التي بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالايات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا بل { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } هذا كله وقد شاهدوا من الايات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات ا وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن أبي حاتم C : ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة : حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق Bه يقرىء بعضنا بعضا القرآن فجاء عبد ا بن أبي ابن سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع واتكأ وكان صبيحا فصيحا جدلا فقال : يا أبا بكر قل محمد يأتينا بآية كما جاء الأولون جاء موسى بالألواح وجاء دواد بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة فبكى أبو بكر Bه فخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال أبو بكر : قوموا بنا إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إنه لا يقام لي إنما يقام D فقلنا : يا رسول ا إنا لقينا من هذا المنافق فقال : إن جبريل قال لي اخرج فأخبر بنعم ا التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها فبشرني أني بعثت إلى الأحمر والأسود وأمرني أن أنذر الجن وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر وذكر اسمي في الأذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أكثر الحياض يوم القيامة ورودا ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعون رؤوسهم وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والملك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا] وهذا الحديث غريب جدا